المقدمة

ساقا التقدم هما: العلم والأدب، تسيران معًا، وتحطّان معًا، وتحملان، متآزرتين جسد الحضارة والثقافة والازدهار والتقدم.

ولا غنى لأي أمة تطمح إلى الظهور والريادة عنهما، فبهما تسعى، وعليهما تعوِّل، وكلَّما اشتدت هاتان الساقان وقويتا، كلما برزت في السباق وجلَّت، وإذا خارت واحدة منهما أو كلاهما، بدأ السوس ينخر جسدها، فتتراجع وتركن إلى الاعتماد على غيرها، وتسير في قافلة التبعية.

والمتتبع لحركة نهضة الأمم وتفوقها في ميادين: القوة، والفكر، والسياسة، والاجتماع، والاقتصاد، والعمران، يتبين له أن هذه القوى ناتجة عن حركة العلم والأدب المتفتحة الناهضة.

فعصور وثَبَاتِ الشعوب ونهضاتها مقترنة بالتقدم العلمي والأدبي، وهذا ما يؤكده العلاّمة ابن خلدون، حيث يُرجع سبب كساد أسواق العلم والأدب بالمغرب (لتناقص العمران فيه، وانقطاع سند العلم والتعليم) فاتصال العمران والحضارة، وكثرة الصنائع، ونهضة العلوم كلها تجتمع في هذا الموكب.

وما الصفحات المشرقة في حضارتنا العربية الإسلامية بغائبة عنّا، حين كانت تتوازى الإبداعات العلمية والأدبية، وهذا التوازي لم يمنع التلاقي والامتزاج، فكان العالم أديبًا، والأديب عالمًا، فاللقبان يطلقان على الشخص الواحد معًا، فيُقال: الطبيب الشاعر، والفلكي الأديب، وأديب المحدثين، ومحدِّث الأدباء.

وقد يُطرح سؤال مفاده: هل باستطاعة الفرد أن يجمع عدة ملكات معًا، أم أنَّ ملكة واحدة قد لا يقوى عليها؟ويسعفنا ابن خلدون دائمًا، حيث يرى أنَّ

إجادة تنوّع الملكات لا يرسخ، أو يثبت بعد إجادة ملكة وحصولها تمامًا، وتمكّنها من نفس صاحبها، يقول في الفصل الثاني والعشرين في باب: إنَّ من حصلت له ملكة في صناعة فقلَّ أن يُجيدَ ملكةً أخرى: (والسبب في ذلك أنَّ الملكات صفاتٌ للنفس وألوان، فلا تزدحم دفعة، ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات، وأحسن استعدادًا لحصولها، فإذا تلوَّنت النفس بالملكة الأخرى، وخرجت عن الفطرة ضعف فيها الاستعداد باللون الحاصل من هذه الملكة، فكان قبولها للملكة الأخرى أضعف).

نستنتج من هذا النص أنَّ الذي يريد الجمع بين ملكتين فأكثر عليه أن يستعدَّ لهما منذ النشأة الأولى، أي في بداية طفولته، والنفس متفرِّغة، والهمَّة مقبلة، والعزيمة حارّة.

والعلم والأدب ليسا خصمين بغى أحدهما على الآخر، فلا يلتقيان! وليسا بحرين: هذا عذب فرات، وهذا ملح أجاج، وبينهما برزخ فلا يتمازجان!

بل هما روضتان يانعتان بينهما جدول رقراق يعطف على هذا مرة، وعلى هذا مرة، وتراهما في عناق أخوي مع كلّ هبة نسيم؟

ليس هناك فصلٌ تعسّفي بين رياض العلم وحدائق الأدب؟ بل وئام وتآلف والتقاء؟

قد نجد من يرى هذا أو ذاك، ولكن الأغلبية المطلقة ترفض فكرة الانفصال والانفصام، وترى أنَّ اللُّحمة بينهما مؤكدة، والعلاقة موثقة، ولا يكاد أحدهما يبلغ حدًّا من النجاح دون الاستعانة بالآخر، فكلاهما مستغنٍ بالآخر لا عنه.

وبما أنّ رؤيتي - أنا على الأقل - كذلك، فما الدّافع لهذا الحديث؟

الذي دفعني هو ما سمعته من بعض المتخصصين أنهم ليسوا بحاجة للاطلاع الأدبي ولا لمهاراته، إذ إنَّ المتخصص منهم لو قضى عمره كله في

تخصصه لما استطاع أن يصل إلى لمِّ شتاته، ومعرفة دقائقه وأجزائه، فكيف وهو يضيع بعض وقته، وينفقه في قراءات أدبية، والتدرب على مهارات لا تسمن ولا تغني من جوع علمي.

كنت أستمع إلى هذه الآراء، وأنا أتمزّق وأتحرّق، أتمزق لهذه الرؤية المحدودة التي تظن في الأدب لهوًا، ولغوًا، وفي مهاراته تزجية وقت، وأتحرَّق شوقًا للردّ عليهم، وتبيان وهمهم.

ورحت أستعرض تجارب التراث العلمي والأدبي عند العرب، وكيف امتزجا معًا، وخدم كل منهما الآخر، فوظَّف العلم لخدمة الأدب، ووُظِّف الأدب لخدمة العلم، فكانت الكتب العلمية تتحوّل إلى شعر منظوم؛ لتسهيلها وتيسيرها، وهو الباب الواسع الذي عبر منه العلماء لتقديم العلم بأيسر طريقة وأعذبها، أو يُستخدمُ الأسلوب الأدبي على شكل حوار، أو قصة في التعليم، وفي الوقت ذاته، تتحول الأفكار الأدبية إلى مشروع علمي لمجرد مرورها أمام عيني عالم.

ومن نماذج ذلك ما وُجد في المكتبات من منظومات في: علوم الشرع، والعربية، والفلك، والطب، والحساب، والتاريخ وغير ذلك، أمّا الأفكار الأدبية التي تحوّلت إلى البحث العلمي فلا يتسع المجال لحصرها، وأذكر منها على سبيل المثال، ما تمَّ التعرف عليه من معالم جغرافية من خلال ما ورد عنها في بعض الأشعار، كذلك في علوم النبات والتعرف على أصنافها وفوائدها، وعلوم الحيوان وأشكالها وأسمائها وطرائق حياتها في التكاثر، وما يعتريها من أمراض، وكيفية علاجها، إلى جانب معيشتها، وأماكن وجودها.

ولقد ربط العرب قديمًا بين العقل والأدب، وأكّدوا على حاجة العالم للأدب، فقالوا: عاقل بلا أدب كشجاع بلا سلاح، وقيل: العقل والأدب كالروح والجسد، فالجسد بغير روح صورة، والروح بغير جسد ريح.

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه: عليكم بطلب الأدب، فإن كنتم ملوكًا سُدْتُم، وإنْ كنتم وسطًا رأستم، وإنّ أعوزتكم المعيشة عشتم.

والعالم في أمسّ الحاجة إلى الأدب لتوصيل معلوماته إلى غيره؛ لأنه بمعرفته الأدب يتقن لغته التي هي أداة التوصيل، فإذا عجز عن استخدام أداته، فقد قدرته على تقديم أفكاره؛ لأن هذه الأفكار أو المعلومات إذا لم تقدَّم بأسلوب واضح كاشف، فسيغلفها الضباب والحيرة، وتخطئ في إصابة غرضها، ولأنَّ الاستخدام الصحيح للغة هو الذي يحدّد المعنى، فاللغة المضطربة المشوشة التي لا تراعي المعنى والدلالة، ولا تراعي صحة التركيب النحوي والصرفي، تنتج من ثم علمًا مشوّشًا، وأفكارًا مضطربة، فالرسالة الغامضة، وغير الواضحة التي يرسلها المرسل لن تجد تفهمًا وقبولاً من جانب المرسل إليه، وبذلك تفشل عملية التوصيل، ويخسر الطرفان، وتفقد المعلومات قيمتها.

والعالم في أيّ تخصص كان، سواء أكان في العلوم الإنسانية، كعلوم: التاريخ، والجغرافيا، والاجتماع، والنفس، والإدارة، أو العلوم التطبيقية والبحتة: كالطب والهندسة، والرياضيات، والكيمياء، والفيزياء، والاقتصاد، وغيرها هو بأمس الحاجة إلى الأدب الذي يمنحه القدرة اللغوية التي تعطيه الثقة بنفسه، وتزوده بالأساليب التي يستطيع من خلالها الوصول إلى عقول وقلوب قرّائه وطلابه، وجمهور الباحثين.

وفي مسيرة تراثنا العلمي، وجدنا أعدادًا كثيرة من العلماء الذين جمعوا إلى قدراتهم العلمية، إبداعًا أدبيًّا في مختلف فنون الأدب: كالشعر، والقصة، والخطابة والرسائل، والتأليف: في النقد، والبلاغة، وتاريخ الأدب.

وقد راعيت الأهداف المرجوة من هذا الكتاب في المنهج والأسلوب: كالمناسبة الفكرية والعلمية لمستوى طلاب الجامعات، والتخصص، وتطوير

القدرات العلمية والعملية، والكشف عن بعض التجارب التي يُحتاج إليها، وتلبية رغبات القراء الثقافية من حيث الأصالة والجدة، والربط بين تراث الماضي والحاضر، إلى جانب إثارة التحدي والتشويق لسلوك دروب المهرة في الاتصال، والمساعدة على اكتشاف الأخطاء وتصويبها، وحفل الكتاب بالعديد من النصوص القرآنية، والحديثية، والشعرية والنثرية، الثرية بمهارات الاتصال، كما زودنا القارئ بالكثير من الأسئلة التي تعبِّر عن المادة؛ لتُجيب عن كثيرٍ من تساؤلاته، وتضيف إليه التدريب الذي يحتاجه.

وفي هذا الكتاب الذي جعلته في مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب، سأركز على استخلاص مهارات التوصيل من خلال شواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي، وكتب التراث النثرية والشعرية.

وقدعرضت في الباب الأول: مفهوم الاتصال وأساليبه ووسائله.

وفي الباب الثاني: المهارات التحصيلية، ويندرج فيه سبعة فصول بسبع مهارات وهي: مهارة الاستماع، ومهارة القراءة، ومهارة التحدُّث، ومهارة الإلقاء، ومهارة الحوار، ومهارة الخطاب، ومهارة السؤال والجواب.

وفي الباب الثالث: المهارات الإبداعية، وفيه فصلان، الأول عن الشعر، والثاني عن النثر بأنواعه: المقال، والقصة القصيرة، والرواية، والمسرحية.

وسأنهي الكتاب بخاتمة، ونصوص تراثية في مهارات الاتصال، ومجموعة أسئلة في المهارات، ثم فهرس للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

من مصادر الكتاب ومراجعه:

- كتب مهارات الاتصال بأنواعها المختلفة: الإعلامية، والنفسية، واللغوية.

- كتب تفسير القرآن الكريم.

- كتب التراث العربي، مثل: البيان والتبيين للجاحظ، وعيون الأخبار لابن قتيبة، والكامل للمبرد، وزهر الآداب للحصري، والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، ومحاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، والعمدة لابن رشيق القيرواني والمستطرف للإبشيهي، وكتب آداب العالم والمتعلم، ومعاجم اللغة، ودواوين الشعر، وكتب الأمثال والتراجم...إلخ.

هذا وبالله التوفيق، ومنه العون والسداد.

عبد الرزاق الحاج عبد الرحيم حسين

الظهران في ١٤٢٩/١٢هـ الموافق ٢٠٠٨/١٢م

تمهيد تعريفي:

في هـذا التمهيد نلقي نظرة سريعة على أركان هذا الموضوع الثلاثة، وهي: (المهارة، والاتصال، واللغة).

والمهارة مـن الفعل (مهر) ورد في أساس البلاغـة[1] (وفتك في صناعته: مهـر فيها.... مهـر في الصناعة وتمهّر فيها ومهرها ومهـر بها، وهو ماهر بيّن المهارة، وخطيب ماهر، وسابح ماهر، وقوم مهرة).

وجـاء في اللسـان[2]: (والمَهارة الحِذق في الشـيء والماهر الحاذق بكل عمل وأَكـثر مـا يوصف به السابـح المُجِيد والجمـع مَهَرَة)وجـاء في القاموس المحيط: (والماهِرُ الحَاذِقُ بكُلِّ عَمَلٍ، والسابِحُ المُجِيدُ ج. مَهَرَةٌ. وقد مَهَرَ الشيءَ، فيه، وبه، كمنَعَ، مَهْرًا ومُهورًا ومَهارًا ومَهارَةً.) ووردت كلمة الماهر في حديث رسول الله ﷺ **«الماهر في قراءة القرآن مع الكرام السفرة [3]»**.

وقوله ﷺ: **«الذي يقرأ القرآن، وهو ماهر به مع الكرام السـفرة، والذي يقرأ القرآن وهو عليه شاق، له أجران [4]»**.

مـن كلٍّ هذا نستطيع تعريف المهارة: بأنها الحـذق والإتقان: أداءً، ووقتًا، وجهـدًا، أي هي الأداء المتقن الذي يقدّم العمـل في صورة تامة لا يعتوره نقصٌ، في: الشكل، أو في المضمون.

---

(١) مادة مهر.

(٢) مادة مهر.

(٣) مصنف عبدالرزاق ج٢ ص ٤٩١ رقم ٤١٤٩.

(٤) ورد في مسنـد الإمـام أحمد برقـم٢٤٦٧٨ ومصنف عبد الرزاق وفيه **«الماهر بالقرآن مع السـفرة الكرام البررة، والذي يقرأ وهو عليه شديد فله أجران اثنان»**.

والإتقان في الوقت باستغلاله واختزاله، حيث تُؤدَّى المهارةُ في وقتها المحدَّد دون استرخاء وإطالة.

والإتقان في الجهد الذي يُبذل من خلال الأداء والوقت، بحيث يكون دقيقًا ومحـدَّدًا ومقتصدًا فيـه، فالإرهاق وبـذل الجهد المضاعف يفتقـدان للمهارة، ويضعفان من شأنها.

الاتصـال: بعمومه، ولا نقصـد اتصالاً معينًا، هو: تماس وارتباط ووصل بـين شيئين، أما الاتصال اللغوي فهو: التقـاء طرفي الحديث المرسل والمستقبل، والهدف بلوغ الغاية التي يريدها المرسل من رسالته للمستقبل.

وبَلَـغَ المكانَ بُلوغًا وَصَلَ إليه، بَلَغَ الشيءُ يَبْلُـغُ بُلُوغًا وبَلاغًا وصَلَ، والإبلاغ الإيصـال. وجاء في القاموس المحيط[1]: وصَـلَ الشيءَ بالشيءِ وَصْـلاً وصِلَةً، بالكسـر والضم، ووصَّلَهُ لأَمَهُ، ووصِلَكَ الله، بالكسرِ، لُغَةٌ، و الشيءَ و إليه وُصولاً ووُصْلَـةً وصِلَةً بَلَغَهُ وانتهى إليـه. وأوْصَلَهُ واتَّصَلَ لم يَنْقَطِـعْ. والوُصْلَةُ، بالضم: الاتِّصالُ، وكُلُّ ما اتَّصَلَ بشيءٍ فما بينهما: وُصْلَة.

وجـاء في لسـان العرب [2]: (وصـل) وَصَلْت الشيء وَصْلاً وَصِلـةً والوَصْلُ ضِـدُّ الهِجْـران، والوَصْل خـلاف الفَصْل، وَصَل الشـيء بالشـيء يَصِلُه وَصْلاً وَصِلةً وصُلَةً، وفي التنـزيل العزيز: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي وَصَلْنـا ذِكْرَ الأَنْبيـاء وأَقاصِيصَ من مَضَى بعضها ببعض؛ لعلهم يَعْتَبرون، واتَّصَلَ الشيءُ بالشيء لم ينقطع، قال الشاعر:

وَصِلِ المُواصِلَ ما صَفَا لك وُدُّه واجْذُذْ حِبالَ الخَائِنِ المُتَبَذِّل

(١) مادة (وصل) في القاموس المحيط.

(٢) مادة (وصل) و (لغو) في لسان العرب.

اللغــة: اللُّغة من الأَسمــاء الناقصة، وأَصلها لُغَوة من لَغا إِذا تكلم، واللُّغة: اللِّسَــنُ، وحَدُّهــا: أَنها أَصوات يُعبِّر بهــا كل قوم عن أَغراضِهــم، وهي فُعَلَةٌ من لَغَوْت أَي تكلَّمت، أَصلها لُغْوة، والنسبة إِليها لُغَوِيّ.